خطبة : اصحاب الغار

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

القصصُ أسلوبٌ نبويٌ كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكثر استعماله في توجيه الصحابة رضي الله عنهم وتربيتهم ؛

وقد تَمَيَّزَ القصصُ النبويُ بصدقِ الثبوت، وفصاحةِ البيان، وبلاغة اللفظ، وقوة التأثير واقتصاره على موطن الفائدة والعبرة.

ومن تلك الأخبار والقصص نبأُ أصحابِ الغار،

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال " انطلق ثلاثةُ رهطٍ ممّن كان قبلكم حتى أوّوا المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقٍهما، فوجدتهما نائمين،

وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برِق الفجرُ، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج"،

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحبَّ الناس إليّ فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألمت بها سنةٌ من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أُحل لك أن تفضّ الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحبُّ الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها،

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم، غير رجلٍ واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجرَه حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله: أدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله: لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك.

فأخذه كله فاستاقه، فلم يترك منه شيئًا،

اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون"..

معاشر المؤمنين

في نبأ أهل الغار هذا إظهارٌ لعِظمِ أثرِ العمل الصالح ، لاسيما إن كان خفيًا، وأنّه سببٌ لإجابة الدعوات و تفريجِ الكُرَبات ؛ وهذه هي الخبيئةُ الصالحة التي تُدَّخَر بين يدي البلاء .. وخبيئةُ الصدق خيرُ ما يُدَّخر من الخبايا، وهي أخلصُ الخبايا وأصوبُها ؛

جاء في رواية الغار للبخاري: "فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلاَءِ، لاَ يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَليَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ"؛

فارقبِ الصدقَ في أفعالك وأقوالك ياعبدالله فإنه نجاةٌ لك في الدنيا والآخرة.

وقد حثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته على صدقة السر ، فقال صلى الله عليه وسلم: «وصدقة السر تطفئ غضب الرب» (أخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن)، وعن الزبير بن العوّام رضي الله عنه أنه قال: "من استطاع منكم أن يكون له خِبْءٌ من عمل صالح فليفعل".

ومن عبرِ هذه القصة -عباد الله -أنَّ الدعاءَ وقتَ البلاءِ من أعظم أسباب رفعه، لاسيما إن كان صاحبه من أهل الدعاء وقت الرخاء؛ فمن عرف الله في الرخاء عرفه في الشدة. فالله -جل وعلا- يحب أن يسمع تضرّعَ عباده ويحب الملحين في الدعاء، وقد مدح نفسه جلّ وعلا بقوله: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء)

وفي هذه القصة تعظيمٌ لفضل تلك الأعمال الصالحة التي توسّل بها النفر الثلاثة:

أولها برُّ الوالدين وخدمتهما وتحملِ المشقةِ لأجلهما، كيف لا وقد قرن الله حقهما بحقه في أكثر من موضع في القرآن ،

قال تعالى ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23 الإسراء )

ومنهافضلُ العفة عن الحرام ، فهي من صفات عباد الرحمن وورثة الفردوس ،،

قال تعالى " والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون " وقال صلى الله عليه وسلم قالَ:" مَنْ ضَمِنَ لي ما بينَ لَحْيَيْهِ ورجليهِ ضَمِنْتُ لهُ الجنَّة "

نسأل الله تعالى أن يعيننا على البّر والتقوى ويهدينا للعمل الذي يرضى ، أقول مانسمعون وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

في هذه القصة بيانٌ لفضلِ أداءِ أجر الأجير فهذا حقٌ واجب في ذمّةِ صاحب العمل ، وهو أمانةٌ واجبٌ أداءُها ،، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قَالَ اللّه: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِه أَجْرَهُ " [1].

فمن له بخصومة الواحد القهّار ؟ وكيف بهؤلاء الذين يحرمون العماّل والخدم والأجراء من أجورهم وحقوقهم شهورا عدة ظلما وبغيا ميف بهم أمام هذا الوعيد ؟؟ ،

فالله الله في حقوقِ العمال والاجراء والخدم ، والله الله في حقوقِ الخلق جميعا " ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58 النساء)